جيل دولوزوأزمة موت الفلسفة

Gilles Deleuze and the Crisis of Philosophy's Death.

بارش ريمة

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 (الجزائر)، rima.bareche@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2021/10/25 تاريخ القبول: 2022/07/27 تاريخ النشر: 2023/07/31

ملخص:

يعالج هذا المقال في مجمله إشكالية نهاية الفلسفة وأزمة موتها ، والتي إشتغل عليه وبإسهاب كبير الفيلسوف الفرنسي جيل دولوز Gilles Deleuze (1925 – 1995) الذي سعى طيلة مساره الفلسفي إلى تقديم روئية مخالفة لهاته الإدعاءات ، بل وحاول من خلال مشروعه الفكري أن يدافع عن الفلسفة والمشغل عليها ، بتأكيده أن العمل فيها لا يزال حيا وقائما ، لأنها مرتبطة بنشاط الفكر وصيرورته ، فهي الحقل المُعني بإبداع ونحت المفاهيم فهذه الخاصية هي من تجعلها حية على الدوام ، مقاومة لكل الأزمات، لأنها تستجيب لحيثيات الراهن ووقائع اللحظة ، ومادامت تتغذى على هاته المفاهيم فهي لن تموت .

كلمات مفتاحية: موت الفلسفة ، ابداع المفاهيم ، الصيرورة ، الراهن.

Abstract:

This article deals with the problem of the end of philosophy and its death crisis. which the French philosopher Gilles Deleuze (1925,1995) has worked quite extensively on it Where, throughout his philosophical trajectory, he sought to present a view contrary to these allegations. He even tried, through his intellectual project, to defend on philosophy and who work on it, by asserting that its work was still alive because it was linked to thought activity and development. Because it's the field of creativity and concept-sculpting, and it's this characteristic that keeps it going and resistant to all crises because it responds to the realities of the moment, and as long as it feeds on these concepts, it will not die.

Keywords: The death of philosophy, the creation of concepts, the becoming, the actual.

1. مقدمة:

تعد إشكالية موت الفلسفة من بين أعقد المسائل الفكرية التي مر بها تاريخها الطويل ، أين جرى هذا التوصيف ضمن لحظات زمنية متعاقبة ، لحظة إنفكاكها من سطوة الميتوس إلى لحظة وقوعها في أحضان الدين و إنفصالها عنه . لتتزاحم مع العلم حول أحقيته عليها في تفسير عما يحدث في العالم من تغيرات ،لتتبلور هذه الإشكالية بصورة أعمق مع الحقبة المعاصرة أين طرحت ضمن خطاب النهايات ، لتتحدد مقولة **نهاية الفلسفة** ، بموجب دعاوي الرفض والتجاوز للحقل الفلسفي والمشتغل عليه ، من باب أنها استنفذت طاقاتها وشروط بقائها لصالح فروع معرفية أخرى ، فلم تعد هناك جدوى من ممارستها لإنعدام الحاجة إليها . ليأتي الرد الضدي والإيجابي من وعي الشعور بالأزمة على أمل الخروج منها بتقديم حلول تتوافق وطبيعة الإنشغال الفلسفي ، ولعل هذا ماسعت إليه الأطروحة الدولوزية . بدأ بتثبيط مزاعم التجاوز التي حصرت الفلسفة في صومعة اللاعودة (الموت) ، لضرورة تواجدها وتحققها من مجرى تأكيده على الطابع الثوري و الراهيني لها . فدولوز أراد عبر مسيرته الفكرية أن يجعل من التفلسف نشاطا ثوريا مقاوما لأنماط الوجود السائدة من خلال خلق أساليب تفكير جديدة ، يقاوم فيها الإنسان الحاضر لينساب ويرتحل مع الصيرورة ، وهذا يتأتى حسبه بإنفتاح الفعل الفلسفي على ممكنات العالم التي نخاطبها بلغة الابداع . فما يجعل الفلسفة حية على الدوام هي هذه الخاصية التي تجعلها مقاومة لكل اللأزمات ، لأنها تستجيب بفعلها إلى حيثيات الراهن ووقائع اللحظة ، ومادامت تتغذي على هاته المفاهيم فهي لن تموت . من هنا نأتي إلى طرح الإشكال التالي : فيما تتحدد الإستراتجية الدفاعية التي أرساها دولوز لحقل الفلسفة كضمان لبقائها ؟ .

2. خلفيات المشكلة ورهاناتها

إن البحث والتقصى ، حول كبرايات المسائل الفلسفية ، في محاولة الكشف عن أصوليها وبداياتها الأولى أصبحت من الضرورة بمكان لأي باحث أراد إنتزاع الشوكة من العمق ، ربما هذا ماجاهد في سبيلة فلاسفة عدة من خلال سعيهم الجاد حول النبش عن حيثيات الأفكار ومكنوناتها ؛ مثال ماخلُصت اليه جينالوجيا نيتشه ، و أركيولوجيا فوكو . هذا وإن سبقهم في ذلك بعهد ليس ببعيد فينومينولوجيا هوسرل ، من مبتغى الحاجة إلى معرفة الأصل الأول للمشكلة . ومنه سنشرع في لحفر والتنقيب لهاته المعضلة ونقصد هنا أزمة موت الفلسفة وإن كنا سنعرضها على وجه الإيجاز لضيق المقام ، أين سنختصر بعض محاولات الإغتيال التي مر بها تاريخها .

لعل الكشف عن تبديات أزمة الفلسفة بالقول الشائع الذي ينسب لها كلما ظهر في مقابل تواجدها منافسا آخر ، بالإقرار بموتها أو نهايتها ، أصبحت من الأقوال الشائعة أو لنقل المبتذله القائلة في حقها ذلك أن إشكالية موت الفسلفة تعد من القضايا المطروحة دائما في ساحة الفكر والإنشغال الفلسفي هذا ومنذ بواكيرها الأولى إلى اللحظة الراهنة , فقد كانت أي الفلسفة في صراع محتدم مع الأسطورة - اللوغوس / الميتوس - ، والتي طَّهرت نفسها منها بمجهود عسير ،فمع هذه الأخيرة إنحصر الفكر والتفكير والحكمة العقلية بغايات نفعية وعملية ساذجة (مرحبا، 1988، صفحة 59) . إلى أن تم إنتصار العقل ، لكنه لم يحضى له بممارسة حريتة المشروعة له وكما ينبغي حتى يجد نفسه خادما للدين وتعاليم اللاهوت لتصبح مهمة الفلسفة الحقيقية هي التي تعتقد لتتعقل (بدوي، 1978، صفحة 3)، مكان السبب لتقوقع الفكر و إنتكاسه وحصره فقط في إثبات التعاليم الكنسية بل وتوكيله المهمة الدفاعية عنه .

ظل هذا الخطاب القروسطي بتوجهاته العقدية مهيمنا على الذهنية الفلسفية الى قرون عديدة والتي لم يحصد منه إلى التزمت وتقهقر الذات ، ما نجم عن هذا الوضع المأزوم أفول نجم الفلسفة وغياب صوتها لصالح سلطة أعلى منها ألا وهي الدين ، لتنتج لنا هذه الحقبة بدورها سردية الموت من جديد .

تنقلب الموازين مع الفترة الحديثة أين يتم إسترجاع الحق المنهوك الذي شرعتة الطبيعة والعقل، لترتفع أصوت الفلسفة عبر مشاريع النهضة والتنوير ، خاصة مع زمن التأسيس الفلسفي مع النخبة الراديكالية التي تمثلت في مجهودات ديكارت و سبينوزا...، هذا التأسيس الذي اتكأ على قاعدة صلبة في إنشاء الفلسفة إنشاءا علميا يستند في ذلك على المنهج الرياضي ، الذي ومن خلاله فتحت أعمالهم النظرية أبعاد قيمية وعملية . أثرت بدورها على واقع العلم وتطوره أين حقق هذا الأخير مقاصده في التقنية ، والتي بفضلها اكتشف الإنسان مجاهل الكون الصغرى والكبرى .

مع هذا السبق تتسع الهوة بين الفلسفة والعلم حول أحقية أيّ منهما في التفسير لما يحدث للعالم من متغيرات ، ما سارع في إستنبات الصراع من جديد أين تولد لها منافسا آخر ولكن أشد شراسة إحتكم الى قوة القانون فقارب بروئيته حقائق العالم وخفاياه .بتوصله إلى نتائج يقينية لا يعدوها شك أوزيف . لينسدل معه ستار الغموض حول حقائق الوجود و الموجود، والتي ظنت أنها من عالم آخر لا نسلك معها إلا طريق التصديق و الإيمان بها وفقط .

الجرح ينزف من جديد ، أين تولد من رحم الفلسفة نفسها ، ليتخلى العلم عن الفلسفة نهائيا ويحدث قطيعة إبستمولوجية معها ، بعدما كان تحت لوائها " بدأت تنفصل العلوم عنها واحدا تلو الاخر ، بداية انفصلت الفيزياء ولحقت بها الكمياء ، ومن ثم علم الأحياء وعلم النفس وعلم الإجتماع ، وبدأ كأن الفلسفة تفقد موضوعها. لتكثر الدعوات إلى موتها وتجاوزها" (نعيم، 2010، صفحة 55) من باب أنها غدت من غير ميدان تبحث فيه ، هذا القول الذي يبرره وبصورة أدق تيدور جوفروا" أن الفلسفة علم لم يحدد هدفه بعد ، فإن

لكل علم ميدانه ، ولكل فن ساحته ، و الفلسفة بعد إنسلاخ العلوم الطبيعية والإجتماعية عنها ، وهيمنة كليهما على مشكلات الفلسفة ، لم يبقى لها شيء البتة " (عزت السيد، 1999، صفحة 65) .

بالرجوع إلى التساؤل ماذا بقي للفلسفة ؟ وماهو الميدان الذي تسعى إليه الفلسفة وحدها ؟ إذا لخصنا الإجابة ضمن رأي الأغلبية التي تقول بأن الفلسفة تبحث في كل شيء ، هذا الإدعاء تحديدا ضمن هذا السياق لا يرضى أحدا الآن ، ذلك أن " الذي يبحث عن كل شيء لا يبحث في شيء ولن يصل عوضه إلى أي شيء " (عزت السيد، 1999، صفحة 64) . أما إذا سلمنا أن هناك ما تبقى لها من مجالات أخرى تبحث فيها والتي هي ضمن خصوصية العمل الفلسفي والتي مازالت الفلسفة تشتغل عليها ، أين نقصد هنا مبحث الموراثيات - الميتافيزيقا - فهذا القول لم يعد ساري المفعول كما كان سابقا ، أين وضعت هذه الأخيرة ضمن خانة الكلام الفارغ الخالى من أي معنى .

أصبح العلم أكثر جاذبية ونفعا للإنسان من الفلسفة ، هذا الأمر لا يختلف فيه إثنان، ولربما هذا راجع إلى جملة الفروقات بينهما ، سواء على مستوى الموضوعات أو في كيفية وطريقة التفكير أو في الوسائل و الأهداف أو في جملة الحلول والنتائج ، لأمر الذي خلق فجوة لا تسد مهما إجتمعت كل الحلول في ذلك ولعل هذه الحقيقة شرعتها بصورة أدق طبيعة الإختلاف الكمي والكيفي ومدار الإشتغال التي تدور فيه كل واحدة على حدى ، ومنه لا مجال إلى معاودة إحياء الفكرة من جهة كيفية إنضواء العلم من جديد إلى الفلسفة ، فهذا أصبح من المستحيلات السبع ، فالفلسفة ستبقى في منافسة دائمة مع العلم حتى تجد لنفسها فضاءا آخر تستند اليه . وهذا ما سنتناوله لاحقا .

لكن الذي يجب توضيحه هنا هو أن إشكالية الصراع بين فروع العلم والمعرفة تبقى من المسائل العرضية ،بحيث لا يمكن أن نحكم على موت الفلسفة من خلال هذا التفاوت بين هذين الحقلين . ومنه تجاوز هذا الطرح حول الفلسفة ومنافسوها لكي يتم البحث في جوهر

الأشياء من خلال الكشف عن المواقف الفلسفية التي طرحت هذا الموضوع وذلك بالتساؤل عن ما الذي شرع للموت فلسفيا ؟ .

يتحدد السياق بداية مع هيغل ، مع العلم أن موضوع نهاية الفلسفة في أعماله هي عبارة عن خلاصة تم إستخلاصها من قبل الشراح ، وليست نظريه مبلورة في فكره (غالي، 2002، صفحة 36)بحيث لم يترك هيغل في كتاباته ما يمكن عده روئية أو نظرية بالمعنى المنطقي ، بحيث أن دلالة كتاباته هي من تؤهله ليُكون مدار التفكير في مشكلة نهاية الفلسفة .

كيف تم إستنتاج ذلك ؟ . " لقد إدعى هيغل إمتلاك المعرفة ، وإدعى بالتالي أنه توقف عن البحث عنها ... و أكد معايير ضابطة لعملية التفلسف ، و أكد أنه حقق المشروع الفلسفي الأزلي " (عزت السيد، 1999، صفحة 31) .هذا المشروع الذي سطره نسقه الفلسفي الذي يمثل التفسير الأكمل للعالم ، والذي ينتهي إلى تجسد الروح المطلق . " أي في ذروة التحقق النهائي الذي فيه يتم تطابق إمكانيات التاريخ كروح (العقل) مع الواقع ، التي تنكشف حسبه في عبارة الدولة الشمولية المتجانسة أو المنسجمة " (الصياد، 2015، صفحة 20) ومنه الوصول إلى الحقيقة المطلقة وبالتالي وضع نهاية للتفكير بعد تحقق العقل في التاريخ أو الدولة.

لكي يجزم الإعتقاد أن هيغل هو آخر الفلاسفة ، وكل من أتى بعده لا يعدو أن يكونوا سوا أدباء أو متحدثين في الفلسفة . إكتمل النسق مع هيغل ، وإكتملت الفلسفة معه أيضا. شيد صرحا فلسفيا تناول فيه كل قضايا الفلسفة ومباحثها ، ليجعل من يأتي بعده إما شراح مؤيدين أو نقاد معارضين .

لكي ترتفع أصوات الألحان الجنائزية التي تعزف على الوتر الأسود لمصطلح النهاية ، والتي يعزفها التيار الضدي لهيغل في محاولة تجاوز أو قلب عقله الدياليكتيكي ، بتوجيه الضربات من الداخل ، وهذا ماسعت له إستراتجيه كارل ماركس وذلك من خلال قولته الشهيرة " أن الفلاسفة لم يفعلوا غير أن فسرو العالم بأشكال مختلفة ولكن المهمة تتقوم في تغييره "

(نعيم، 2010، صفحة 66). هذا القول الذي يضمره العداء تجاه الأبحاث الماورائية والميتافيزيقا تحديدا ، فآن لها ان تزول لكي تترك مكانها خاليا لحياة الإنسان ، هذا التغير الذي يتم في تجسيد فلسفة للواقع عبر البراكسيس ، توجيه الفعل نحو حياة الإنسان والوعي بها إقتصاديا و إجتماعيا وسياسيا ، نفهم هاته الأبعاد من خلال محاولة تحرير الحاجيات البشرية عبر تحقيق التقدم و الرفاه والذي يكون بالقوة الماديه ، التي تشرعها العدالة بين طبقات المجتمع وفق النهج الإشتراكي ليتم تحقيق مجتمع متساوي القوى بين أفراده ، ساعيا ماركس من وراء هذا إلى تحقيق نبوءته حول نهاية التاريخ ، بتحرير و إنجاز الثورة العمالية وشيوعها .لتكون القاعدة التحصيلة حسبه " أن مستقبل الإنسانية يسير نحو الإشتراكية كمرحلة أولية للوصول إلى المرحلة الحاسمة وهي الشيوعية والتي تمثل نهاية التمايز في المجتمعات البشرية" (الصياد، 2015، صفحة 19) .

تتوالى الهجمات بخصوص نهاية الفلسفة ضمن توالي طرح المساءلات حولها ، أين نجد هيدغر قد تناول هذا الموضوع في إحدى مقالاته إنطلاقا من التساؤل التالي : ماذا يعني الحديث عن نهاية الفلسفة ؟ ليأتي تبرير الإجابة في نفس سياق الطرح " ...يدل الحديث عن نهاية الفلسفة على كمال الميتافيزيقا أو تحقيق الميتافيزيقا " (هيدغر، 2016، صفحة 52/51)بلغت هذه الأخيرة ذروتها وبالتالي لا جدوى إلى الخوض في مسائلها لأنها حققت الإكتمال ، ومنه تجاوز هذا القدر الملازم للفلسفة لصالح طرح الاسئلة المنسية من جديد والمتمثل في سؤال الوجود .

فهل بالفعل يمكن الحكم على أزمة موت الفسلفة ونهايتها إنطلاقا من هاته المحاولات الرافضة والمتجاوزة لها ؟

يجيب دولوز بدحض السؤال كليا : " لا معنى بتاتا للتساؤل عما إن كانت الفلسفة قد ماتت ، فتلك الأفكار هراءات لا جدوى منها وشاقة " (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 33). من هنا سنشرع في المسعى الدفاعي لحقل الفلسفة حسب الروئية الدولوزية .

3. دولوزو تجديد الفلسفة في القراءة و اللغة والأسلوب

يعتبر دولوز من جيل المبدعين ومن المفكرين المجددين في تداولية المجال الفلسفي وذلك من خلال إشتغاله على سياقات الراهن و إشكالاته ، بصياغة مفهومية متفردة ، أين عمل على طول مساره البحثي برفع شعار التجديد والإبداع الذي رسمه للفلسفة من مجرى تأكيده على أنها مقاومة وثورية على الدوام .

يتحدد مجال إشتغاله ضمن سياق مابعد الحداثة هذه الاخيرة " التي أعلنت من شان الجمالي بوصفه بديلا للعقلانية ، من الجسد والرغبة بديلا للفكر ، ومن الصيرورة والإختلاف بديلا لقوانين الهوية والتناقض " (مصطفى، 2011، صفحة 46) إنطلاقا من مزايا هذه الحركة التي غيرت بدورها إتجاه البحث والنظر في القضايا الفلسفية بالتوجه إلى ما تم تغيبه .

يقف دولوز موقف المدافع الرافض لكل الإدعاءات المغالية في حق الفلسفة على سبيل الإستغناء عنها ، لعدم جدوى ممارسة العمل الفسلفي ، بإنعدام الحاجة إليها لأن الواقع بين أن ميادين معرفية كثيرة قتلت وظيفتها .ليناهض دولوز هذا الرأي من خلال دفاعه المستميت لها ، و الإيمان بها إلى أقصى حد ، مادام أن عملها مرتبط بنشاط الفكر وصيرورته ، وأن التأسيس النظري فيها لا يزال حيا و قائما . وبالتالي فهي لن تموت " فدولوز لم يفقد يوما ثقته بها ، ولا بدورها في تحرير الإنسان من ذلك رفضه بشدة بعض المقولات السابقة الموروثة من هيغل و هيدغر مثل نهاية الفلسفة أو تجاوز الميتافيريقا ، رفض الدخول في أي جدل بشأنها وأعتبرها تخريفا مثيرا للضجر " (عطية، 2011، صفحة 28) .

ولعل هذه الأراء لها ما يؤسسها معرفيا و قيميا ، ومنه سنحاول عرض حججه الفلسفية التي إستند إليها في تجديده للخطاب الفلسفي وإعادة النظر في شروط تحققه ، ولو أنها فلسفة

كلها تجديد ، سواء شكليا من ناحية اللغة و الأسلوب أو مضمونا من ناحية تعدد وتنوع معانيها .

1.3 التجديد في قراءة تاريخ الفلسفة

" إن كتابات دولوز الفلسفية قد سارت في أعمال لتاريخ الفلسفة ، أعمال بالتوالي عن هيوم، نيتشه ، كانط، برغسون ..." (ليشته، 2008، صفحة 212)، من منطلق هذا القول الذي سار بموجبه المشروع الدولوزي من خلال إعادة قراءة تاريخ الفلسفة ، ودراسة أعمال الفلاسفة الكبار والإشتغال عليهم ، إعتبارا منه أنها تشكل أرضية فلسفية في حد ذاتها للبحث عن صورة جديدة للفكر وتجاوز الصورة التقليدية . فأخذ بالحوار معهم بعيدا في ذلك عن أساليب الفهم والتفسير والشرح و التأويل ، بحيث كانت قراءاته خاصة وفق منهجية مغايرة متجاوزا بها القراءة التاريخية الكلاسيكية ، فهي حسب البعض " تشكل محاولة لتفكير بمعية فلاسفة سابقين كفن لتشكيل ورسم الوجوه ، لأنه لا يعيد التشابه بل ينتج التشابه إعتمادا على وسائل جديدة " (بنشانغ، 2015، صفحة 93) و هذا ما أكده دولوز بقوله إن " تاريخ الفلسفة يكمن مقارنته بفن رسم الوجوه الشخصية ، ليس الأمر في أن نبدو متشابهين، أي أن نكرر ما قاله الفيلسوف ، وإنما إنتاج التشابه باستخلاص في الوقت نفسه مسطح المحايثة الذي أقامه والمفاهيم الجديدة التي أبدعها ، إنها لوحات ذهنية فكرية ، وآلية بالرغم من أننا نصنعها عادة بطريقة فلسفية فإننا نستطيع إنتاجها جماليا " (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 72).

ومرد هذا القول الذي نستشف منه ، وجهات نظر متعددة ،إذ تحمل صفة التعارض مع التقليد المتبع لمؤرخي الفلسفة، حول طريقتهم العقيمة في دراستهم لأعمال الفلاسفة على أنها معتقدات لا يجب المساس بيها أو تغيرها ، وأنه يجب عرض أفكارهم و أرائهم في صورتها الأصلية كما كان يريدها صاحبها . ومن وجهة أخرى ، أي من وجهة نظر دولوز فإنه رأى منه إختصاصا إبداعيا من خلال إبتكاره لقراءة تنم عن خلق معاني جديدة أو كما يسميها

بالقراءة الفعالة أي " ليس إعادة ما يقوله الفيلسوف بل قول ما يضمره بالضرورة أي مالا يقوله وهو ماثل مع ذلك فيما يقوله " (مصطفى، 2011، صفحة 27).

لتتحدد هذه الكيفية البديله في القراءة المتفردة " بإتخاذ من إستراتجية الوسط الآلية للتدخل في حركية فكرهم ممسكا بالنقطة المركزية التي تنبثق منها إشكالياتهم بالتفكير من الداخل، بتأويل تصوراتهم بما يجعل منها قدرة لإعادة الصياغة بما يوافق الراهن" (بنشانغ، 2015، صفحة 95/94).

بهذا المزيج الخلاق الذى عمل بموجبه دولوز بالتخفي وراء عمل الفيلسوف ، بتطعيم مفاهيم الماضي بصيرورة الحدث وتغيراته بعمل إبداعي أصيل بإستنطاق مالم يقل بعد ،ما أدى الى خلق مسارات مطورة لعمل الفلسفة بجعلها دائمة الحركية والتفاعل مع واقع العصر و تجلياته .

ولعل هذا ما يوضح فرادة تفكير الفيلسوف ، من خلال إبتكاره لقراءة جديدة ولمنهج مغاير لتاريخ الفلسفة ،إعادة إنشاء وتركيب نصوص جديدة حولهم بمنهج الوسطية والمغايرة ، بحيث أن قراءة دولوز للفلاسفة ليست خضوعا تاما لفلسفاتهم فهو لا يتوانى أن يكون ذاته . فلكي تكون مبدعا في الفلسفة حسب دولوز " لايعني هذا إبداع افكار صحيحة وصائبة، وإنما البحث عن المختلفة والمغايرة منها في مكان أو مجال آخر " (دولوز و بارني، 1999، صفحة 19) .

2.3 تجديد في الأسلوب و إبداع لغة غريبة داخل اللغة ذاتها

أولى دولوز أهمية بالغة لمسالة التجديد في أساليب الكتابة والمحادثة ، أين سعى مند بديات مشواره الفلسفي ، إلى التعبير عن أفكاره بشكل مغاير وبلغة مغايرة ينفي بها تلك الأساليب البسيطة المبتذلة التي تتخذ شكل البناءات . وهذا حسبة لا يعنيى اللجوء إلى لغة معقدة ومركبة بل إبتكار لغة أجنبية داخل لغتنا ، ليؤكد دولوز من هذه الوجهة ضرورة إبداع أسلوب آخر مغاير " يتوصل فيه المرء إلى التلعثم في لسانه الخاص ، ولا يعني هذا أن يكون

المرء متلعثما في كلامه ، وإنما متلعثما في اللغة ذاتها أن يكون كأجنبي داخل لسانه الخاص ، أي أن يصنع خطا هروبيا" (دولوز و بارني، 1999، صفحة 12) . ومنه الفعل الفلسفي ينطلق من هذه الكيفية ، ذلك أن الفيلسوف تستدعيه الحاجة الدائمة إلى إنجاز وسائل جديدة يحقق بها أفكاره لأنه مرهون باللحظة ومعايش للحدث بكل تجلياته ، هذه الصيرورة التي يحياها تفرض عليه السعي دوما إلى إبتكار ما يتوافق اللحظة المعاشة ، و إلى إمتلاك من جهة أخرى " لسان هامشي يستعمله إستعمال الأقلية (دولوز و بارني، 1999، صفحة 13) .

التفكير بطريقة الجذامير ، تعد هذه الخاصية إحدى أقوى المفاهيم التي أبدعها دولوز و التي إستند إليها كإستراتيجية في الكتابة ، وهو كتعبير مجازي أريد به تحقيق إشارات كثيفة الدلالة ومتعددة المعاني ، فالفكر وهو يتصور نفسه عبر هذه الدلالة الجذمورية ، فإن هذه الصورة تكسبه ديناميكية وقدرة على التوليد " (عطية، 2011، صفحة 39). فهو مصطلح يكرس لمبدأ التعددية والإختلاف ، وطريقة في التفكير ، والوجود في العالم ، لأن معه تنفلت كل سلطة أو قيد ، أو بداية و نهاية ، فهو لا يؤمن لا بالثبات أو الإستقرار وضع لنفسه خطوط هروب يرتحل فيها إلى عالم الصيرورة ليتخذ دولوز من هذا المفهوم النموذج الفعال في الكتابة ، هذه الأخيرة لا نمارسها كبنيه مغلقة ، كتأمل أو إنعكاس فهي بحسب دولوز : "آله منتجة للمعنى ، آله حرب موجهة ضد كل أشكال السلطة ، إنها عبارة عن حلقات مفتوحة " (مصطفى، 2011، صفحة 117).

ضمن هذه الإستراتيجية الدفاعية تمكن دولوز من التجديد في العمل الفلسفي والإثراء فيه ، جعل من التفلسف فعل حيوي و ممارسة فنية ، تعمل وفق خاصية الإبداع والخلق ، ما يُفَّعل تواجدها وإستمراريتها ، ما أراده دولوز تحديدا هو تحرير المشتغل على الفلسفة من وهم الزوال وتدعيات النهاية للحقل الفلسفي ، أراد أن يرسي طموح التفاؤل أن العمل فيه دائم ،لأنها مُعاشة وتتنفس الحياة معنا ، مازالت تسعى إلى مجد الإنسان ورقيه ، مازالت تسعى لمحاربة كل أنواع البلاهة .

4. الفلسفة كفن إبداع المفاهيم

يقول دولوز في أحد مواضيع كتبه عبارته المشهورة والتي بها ،سنفتتح مضامين هذي الجزئية : "إن كنتم تعتقدون أنه لا جدوى من الفلسفة فلا تمارسوها ". (مهيبل، 2001، صفحة 175)

من هذ النص الذي صيغ كجواب دفاعي لتلك الإدعاءات المغالية في طرحها ، بالإقرار على موت الفلسفة وتجاوزها ، ذلك أنه لم يعد هناك جدوى نستبيح النظر إليها من جديد ، كونها أنهت تلك المهمة الموكلة لها ، أين منحت لنفسها شرف إستقالتها ، لصالح ميادين أخرى أجدر منها على تفسير والتعبير لما يحدث للعالم من تغيرات .

فمن مجرى تأكيده على تغيير هذه الصورة السلبية المجحفة في حقها ، بإدخال صفة الجدة والتجديد إليها ، والتأكيد أن العمل فيها لايزال قائما وممكنا . ليأتي التأسيس و التبرير من هذا المنطلق، بإعادة صياغة الاسئلة وطرحها من جديد لتحل إشكالية ما الفلسفة ؟ (دولوز وغتاري، 1997، صفحة 27)، التي تعتبر كإحدى أهم وأعقد المسائل التي أراد دولوز الإشتغال عليها ، هذا السؤال الذي طرحه بعد فترة متأخرة من حياته ومساره الفكري ، والذي كان بذرة إنتاج وخلاصة حياة لتجربة فلسفية دامت سنوات من البحث والتقصي ، عن من الذي يبرر وجود الفلسفة ، وفيما تتمثل شروط بقائها ، وإستمراريتها ؟ والذي جاء في مضمار لتكملة البناء ، بإعادة التأسيس لصورة فكر جديد، بالبحث عن ما يميز القول الفلسفي (نعيم، 2010، صفحة 400) عن غيره من المجلات المعرفية الاخرى .

ومنه جاءت جهوده حول هذه المضامين التي صاغها في آخر نص ألفه ، والمتمثل في كتابه « **Qu'est ce que la philosophie** » **ما الفلسفة ؟** والذي استنطق فيه جوابه الرئيسي :"أن الفلسفة هي الحقل المعرفي القائم على إبداع ونحت المفاهيم ". (دولوز وغتاري، 1997، صفحة 30)

في إيضاح هذا المعنى والتوسيع في دلالاته من قبل دولوز الذي صرح في إضافة له:

" الفلسفة بما هي علم يهتم بصناعة المفاهيم (الاحداث) **concepts** ، بحيث يكون هذا المفهوم صديق الفيلسوف ، باعتبار أن الفعل الإبداع يقتضي وجود فاعل مبدع أي شخص يحيل إليه ، والإبداع على ما هو خاصية مشتركة بين جميع الفروع المعرفية ، إلا أن إبداع المفاهيم بالمعنى الدقيق يرجع إلى الفلسفة وحدها ، ولا تكون جاهزة كما ولو كانت أجساما سماوية ، بل ينبغي إبتكارها وصنعها" (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 30)، أي أن ؛ المفاهيم لا تعطي في قوالب جاهزة بل يجب إبتداعها من لا شيء .

بهذه الخاصية التي أكدها دولوز كممارسة محضة ، حظيت به الفلسفة لا غير والتي إنطلاقا ومنها غُيرت مسالة موت الفلسفة ،وإنتهاء صلاحيتها ، وبمقاومتها لتلك الأغاليط التي نسبت لها ، برد فعل ثوري القائم على مفهوم الإبداعية ، التي خصته حول المفهوم ، لما يحوزه، أي الإبداع من خلق فوضى للمعنى ، التي تعمل بإستمرارية القول على تغير والإتيان بالبديل ، حركية الفعل ، ومناهضة القديم ، صيرورة دائمة ، آلة حرب إذا ما جاز توصيفها، تعمل دائما وأبدا على ما يتوافق واللحظة الآنية ، ما دامت إرتبطت بالفكر ونشاطه ، والذي لا يموت إلا بإنعدامه، ذلك "أن التفكير يعني الإبداع ولا وجود لإبداع آخر ، بل الإبداع هو في البداية توليد التفكير في الفكر " (دولوز، 2009، صفحة 295) .

هذا الفعل لما يحوزه من دلالة قيمية ، باعتباره صيرورة ضرورية لمسار الفلسفة والتي به ، يحق لها أن تقاوم كل معيقات الوجود من أشكال التبعية ، الأراء العامية أساليب الخواء والإبتذال أي ؛مقاومة الخسّة (نعيم، 2010، صفحة 468)ذلك أن الإبداع هو المقاومة، أن نبدع ونقاوم في وقت واحد صيرورات خالصة " (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 123)بما هي صيرورة لتقاليد الماضي الرث والذي يقتضي عمل ضدّي مجابه له و لكل صور النكوص، التي ترهق كاهل التفكير والعمل المبدع، لكي نعي أن "المقاومة الجذرية هي مهمة الفلسفة ، وهي في نهاية المطاف مقاومة العماء ، من أجل إقتطاع قطعة منه تمهد السبيل إلى الحرية" (بوعلي، 2014، صفحة 289) .

سبل التحرر التي توجزها ممارسات سلمية ،تفعلها الفلسفة بمواضيعها المتعددة بكيفية مناقشتها للأسئلة المسكوت عنها، والتي تطرح فيها دعاوي المقاومة، بفرضها نمط مغاير من التفكير ضد الفكر المهيمن ،" الفكر الفاعل لنقد الحماقة والسفالة " (دولوز، 2011، صفحة 128)، بهدف تحرير قوى الحياة وجمالياتها .

فمساعي الخلاص هنا حسب دولوز هو الإعلاء من شان التفكير بتجديد طاقاته الإبداعية وبتبديد الصور التقليدية عنه، " ليس بمعنى الشرح ، ولا الحكم على الأشياء كما لا يعنى بالمعرفة، الفكر مع دولوز عبارة عن تجريب expérimentation بما هو إكتشاف إمكانات جديدة للحياة ، التفكير بما هو مقاومة، التي هي بمفهومه ستغدو مقاومة البلاهة La bétise، التي لا يعني بها الجهل ، إنما اللافكر الذي تنطوي عليه الأفكار الجاهزة" (بن عبد العالي، 2012، صفحة 15) .

إستجابة لهاته الضرورة التي تقتضيها فعل التفكير في تحرير طاقاته التي بدورها يتولد فعل الإبداع ، بما هو صيرورة حركية تفَّعل بدورها تعريف دولوز للفلسفة على أنها صناعة المفاهيم كإثبات ظاهري ، " تقتضيها ضرورة تفكيك الصورة التي كُونت عنها ، أو التي كونتها هي عن نفسها ، بتفتيت كل الأحكام والبديهيات والأوهام التي نسجت حولها ، ثم بناء تركيب صورة جديدة للفلسفة من الفكر ككينونة كفاعليه كطبيعة (عطية، 2011، صفحة 121/119) .

فالمفاهيم الفلسفية حسب دولوز، هي البعيدة عن مجالات التفكير المستغرقة في دلالات المجرد " ما ليس الفلسفة إياه ، ليست تأملا **contemplation** وليست تفكيرا **réflexion** وليست تواصلا**communication** ". (عطية، 2011، صفحة 121)

من منطق هذه الأفهومات التي يجب على الفلسفة التخلص منها ، من عمومية التفكير والقوالب الجاهزة وأن تثبت من منطق ذاتها بذاتها ، أي تحديدها بصياغة مغايرة ومناهضة في الآن معا ما جاز توصيفها به قديما.

بعيدة في ذلك عن تلك الأفعال والانفعالات أي " ليس التأمل و التفكير والتواصل ميادين معرفية وإنما هي لآلات لتشكيل كليات (universaux) ". (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 31)

فبإحالة الفلسفة إلى مثل هذه المفاهيم التي لا تعدو ، أن تكون مجرد أوهام وظلال لها ، من قبل تلك الماهيات ، من مجرى تأكيدها لمبدأ الهوية لا غير، بعودة الأشياء إلى ذاتها ،الأمر الذي نجم عنه غياب المعنى وإنعدامه ، الذي أدى معه إلى غياب قيمتها الوجودية .

فحسب دولوز، نحن لا نحتاج إلى تأمل أو تواصل ، إذا نتوفر على الكثير منه ، بل نفتقر إلى الإبداع ، نفتقر إلى مقاومة الحاضر ، يستدعي إبداع المفاهيم في حد ذاته شكلا مستقبليا وأرضا جديدة ، وشعبا لم يوجد بعد" (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 120)

لتتخذ المقاومة شكلها ،في فلسفة دولوز والتي تعتمد على إبداع المفاهيم ، من قبل عمل الفيلسوف، هذا الأخير "إذا كان مقاوما بالمعنى المفاهيمي ، فالمفاهيم وطرق التفكير إلا وسيلة للوصول إلى الأرض ، رغبة منه في جعل فكرة تعيش تحولاتها المختلفة ". (الرواحي، 2014، صفحة 1)

وبالتالي هذه الفاعلية التي أرادت تحقيق تفاعل مستمر، بتغير الحقل الذي تشتغل عليه الفلسفة ، وتكليفها بمهمة أخرى فريدة ووحيدة في دفتها ، ألا وهي جعلها تهتم بتكوين المفاهيم وخلقها من جديد ، هذه الأخيرة التي" تنقل لنا الحدث وليس الماهية ". (دولوز و غتاري، 1997، صفحة 43)

من هنا يظهر العمل الإبداعي الذي ظهر فيه دولوز بلقب المبدع ، من خلال تغيره لمنظومة السالفة حول تعريف الفلسفة وتجاوزه للمعنى التقليدي لها ، بتأكيده للبعد الإبداعي " وبتحرير الفلسفة من منطق الماهيات والولوج بها الى منطق المعاني (حدجامي، 2012، صفحة 146). لتشترك أو لتتقارب الفلسفة هنا مع الفن ، هذا الأخير بما هو آلية إبداع لآليات تعبيرية جديدة ، لاحظ دولوز من خلاله ذلك التماهي بينه وبين الفلسفة في

كونهما يعملان على مقاومة الواقع، وإنتاج المعاني، والإنتصار على كل أنواع التعالي، يتجاوزان الموت لأنهما مرتبطين بقوة الحياة .

5. خاتمة:

في خضم هذه الدراسة البحثية التي جاءت في تحليل اشكالية موت الفلسفة ونهايتها من منظور جيل دولوز ، اين ارتأينا من خلالها الى ايضاح معالم الفكرة بتجلياته التاريخية الى استحضار مضامينه الفلسفية ، والتي جاءت بموجب دعاوى الرفض والتجاوز للحقل الفلسفي ، بحركة ضدية تعمل بممكنات التفكير والخلق والابداع ، والاستجابة الى حيثيات الراهن ووقائع اللحظة .

لنصل فيي الختام إلى رصد اهم النتائج التي توصلنا اليها وهي كالتالي :

_ سعى دولوز عبر مشروعه الفلسفي الذي أخذ بطابع الجدة والتجديد في آليات العمل الفلسفي، والذي نحسبه عملا تأسيسيا هادفا ، كان من مبتغى الحاجة إلى إثراء الخطاب الفلسفي ، بالنظر إلى الفلسفة كممارسة تقتضيها دواعي تشخيص الراهن .

_ الفلسفة لن تموت لأنها تبدع ممكنات وجودها وشروط بقائها الذي تستمده من نشاط الفكر وصيرورته ، ومنه لا خوف عليها من الزوال والنهاية مادامت تعمل وفق خاصية الإبداع ، التي تقاوم به إدعاءات الرفض والتجاوز، ولتحقق به من جهة أجرى مجالها الذي تشتغل فيه دون سواها ألا وهو صناعة المفاهيم .

6. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

1- بدوي عبد الرحمن ، (1979)، فلسفة العصور الوسطى، بيروت، دار العلم .
2- بن عبد العالي عبد السلام ، (2012)، الفلسفة فنا للعيش ، المغرب ، دار توبقال .
3- بوعلي خميس ، (2014) ، جيل دولوز صورة الفيلسوف ، الجزائر، منشورات الاختلاف .
4- جمال نعيم ، (2011) جيل دولوز وتجديد الفلسفة ، بيروت ، المركز الثقافي العربي .
5- حدجامي عادل ، (2012) ، فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف ،المغرب ، دار توبقال .
6- دولوز جيل ، (2009) ، الاختلاف والتكرار، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة
7- دولوز جيل ، بارني كلير ، (1999) ،حوارات ، المغرب، افريقيا الشرق.
8- دولوز جيل ، غتاري فليكس ، (1997) ، ما الفلسفة ، بيروت ، مركز الانماء القومي .
9- دولوز جيل ، (2011) ، نيتشه و الفلسفة ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر .
10- عطية عبد الحليم ،(2011) ، دولوز وسياسات الرغبة، بيروت ، دار الفرابي.
11- عزت السيد أحمد ، (1999) ، نهاية الفلسفة ، دمشق ، دار الفكر المعاصر.
12- غالي وائل ، (2002) نهاية الفلسفة دراسة في فكر هيغل ، مصر ، الهيئة المصرية العامة .
13- ليشته جون ، (2008) ، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا من البنيوية الى مابعد الحداثة، بيروت ، المنظمة العربية للترجمة .
14- مرحبا عبد الرحمن. (1988). مع الفلسفة اليونانية ، بيروت ، منشور عويدات.
15- مصطفى بدر الدين (2011) ، فلسفة مابعد الحداثة، بيروت ، دار المسيرة .
16- مهيبل عمر ، (2001) ، من النسق الى الذات ، الجزائر ، منشورات الاختلاف .
17- هيدغر مارتن ، (2016) ، نهاية الفلسفة ومهمة التفكير ، دمشق ، دار التكوين والترجمة والنشر .

- **المقالات**:

1- الرواحي علي سليمان ، (2014) ، الفلسفة والمقاومة ، مجلة شرق وغرب ، العدد الثاني ،

2- الصياد فاطمة ، (2015) ، فلسفة النهايات ، مجلة الدراسات الإجتماعية والإنسانية، العدد الرابع ،

3- بنشانغ خالد ، (2015) ، دولوز قارئا نيتشه ، مجلة دراسات فلسفية ، العدد الخامس ،